

الرحالة والباحثون الروس في تاريخ الجزيرة العربية وآثارها "دراسة تقويمية"

عبد الرحمن الطيب الأنصاري

ملخص: بدأت طلائع الرحالة الغربيين تتوافد على الجزيرة العربية، منذ القرن الخامس عشر الميلادي. وتباينت أهدافهم ما بين السيطرة على أجزاء من البلاد العربية، أو التحكم في الطرق البحرية، أو التصدير، أو المغامرة والاستكشاف. وفي الوقت الذي توافد فيه العديد من الرحالة الغربيين إلى الجزيرة العربية من كافة الدول الأوروبية، كان عدد الرحالة الروس قليلاً جداً؛ ذلك أن طلائعهم بدأت تتوافد على الجزيرة العربية، منذ أواسط القرن التاسع عشر الميلادي. يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على الدور، الذي قام به الرحالة والباحثون الروس، من خلال نظرتهم إلى الجزيرة وسكانها؛ وكذلك، دراسة التاريخ العربي، خاصة القديم منه، ومحاولة الربط بينه وبين التصور المسبق للدراسات التوراتية، التي أسقطت على التاريخ العربي.

Abstract. It was during the 15th Century A.D. that the first travellers from Western countries began to journey to the far corners of Arabia. The motives of these travellers were varied: some were interested in territorial expansion, others were bent on controlling sea-routes, while others were missionaries who sought to spread the teachings of Christianity, and still others were moved by a sense of adventure and exploration. However, in comparison to Europeans, Russian travellers not only were fewer in number, but also came too late, towards the middle of the 19th Century. The present paper attempts to focus attention on the contribution of Russian scholars and travellers to the depiction of Arabia and the life of its inhabitants. It examines their approach to ancient Arabian history, and how their preconceived notions about its presumed relationship with biblical writings dominated their studies.

على الممرات البحرية وطرق التجارة في البحر الأحمر، بعد اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح. وكان دي فارتيما قد بدأ رحلته من مصر، التي توجه منها إلى الشام حيث قضى وقتاً بدمشق تعلم خلاله اللغة العربية. ثم سافر منها مع إحدى قوافل الحجاج تحت اسم الحاج يونس المملوك المصري. وتمكن من الوصول إلى المدينة المنورة ومكة المكرمة، وقدّم وصفاً لرحلته منذ خروجه من دمشق حتى مغادرته لجدة في نهاية رحلته (إسماعيل ١٩٩٨: ٥٤).

إننا نلاحظ أن الاهتمام بجمع المعلومات عن الجزيرة العربية بدأ منذ مطلع القرن السادس عشر، إذ انطلقت أفواج من العلماء الأوروبيين تترى؛ فمجموعة اتجهت إلى الشمال، ومجموعة أخرى اتجهت إلى الجنوب، ويندر من جمع في رحلاته بين الشمال والجنوب. وكانت حدود من جاءوا من الشمال هي مكة، أما حداد من جاءوا من الجنوب فتجران.

تعددت الأسباب التي دفعت الرحالة الغربيين إلى زيارة الجزيرة العربية. فقد بدأت طلائعهم تتوافد منذ القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي. وتفاوتت أهدافهم ما بين السيطرة على أجزاء من العالم الإسلامي، أو التحكم في الممرات المائية الحيوية، مثل: البحر الأحمر والخليج العربي وبحر العرب، أو التصدير، أو حب المغامرة والاستكشاف.

وكانت أولى محاولات الأوروبيين لزيارة الجزيرة العربية، قد تمثلت في زيارة بيتر دي كويلان (Peter de Coullan) إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة سنة ١٤٨٧م. وتدور شكوك كثيرة حول هذه الزيارة، وهل تمت فعلاً أم لا؟ لكن من المؤكد أن أول رحالة أوروبي زار الجزيرة العربية هو الإيطالي لودفيكو دي فارتيما، الذي زار الجزيرة العربية سنة ١٥٠٣م. وكان دي فارتيما مرسلًا من قبل البرتغاليين للتجسس، في إطار الصراع الذي كان دائراً آنذاك، بينهم وبين المماليك، من أجل السيطرة

معلومات ثرة، عن تلك البقاع التي سار فيها حتى وصل إلى السويد، ويعود ذلك إلى العصر العباسي (دانتسغ ١٩٦٥: ٢٠-٢٢).

هذا من حيث العلاقات الاقتصادية غير المؤقّعة بالشكل الذي نرتضيه كمؤرخين؛ ولكن الدلائل البسيطة التي أشرنا إليها أنفأ تعطي شبه اليقين بأن هناك علاقات قديمة بين المنطقتين. أما إذا ما حاولنا أن نبحث عن العلاقات أو الارتباطات العلمية بين المنطقتين، فإننا يمكن أن نقول أن الخطوات الأولى على طريق تأسيس الاستشراق العلمي في روسيا، يرجع إلى الربع الأول من القرن الثامن عشر إذ تأسست أكاديمية العلوم في بيتربورغ سنة ١٧٢٤م. وفي هذه الفترة ظهر في أكاديمية العلوم بعض الأجانب الذين كانوا يعرفون اللغات الشرقية، وكان أشهرهم (باير وكير) (دانتسغ ١٩٦٥: ٩٨-١٠٠).

وكان باير ممّن تلقى العلم في جامعة (كينكسبيرغ)، ودرس اللغات الصينية والعبرية القديمة والعربية. وانتقل سنة ١٧٢٥م إلى بيتربورغ، حيث عمل في قسم الشرق الأدنى واللغات الشرقية في أكاديمية العلوم.

أما كير، فقد حصل سنة ١٧٢٢م على الماجستير من جامعة (لايبزيك)، وقبل قدومه إلى روسيا نشر مجموعة من أعماله العلمية، وكان على معرفة جيدة بلغات شعوب الشرق الأدنى، خصوصاً اللغة العربية. وكان هذا العالم أول من برهن على أن الخط الكوفي ما هو إلا الخط العربي القديم. وعلى الرغم من عدم معرفتنا بالبراهين والأدلة التي جعلته يقرر هذه الحقيقة، إلا أننا نعتقد أنه ربما ربط بين هذا الخط والخط النبطي أو الخط الآرامي. وقد قدم إلى روسيا سنة ١٨٢٢م لتدريس اللغات العربية والفارسية والتركية للشباب الملتحقين بكلية الشؤون الخارجية. وهذا يذكرني باليابانيين الذين يدرسون اللغات الأوروبية لمن يرغب من موظفي الخارجية، سواء كانوا من العاملين في السفارات الأجنبية أو المرافقين لضيوف الدولة، وإن كان الروس قد سبقوا اليابان في ذلك.

وفي الثلث الأخير من القرن الثامن عشر، اتخذت الإمبراطورة (كاترين الثانية) بعض التدابير في سبيل الاهتمام بتدريس اللغات الشرقية، في المؤسسات التعليمية التي تقع في

وما بين هذين الحدين انفردت بعثة ريكمائز العم، وريكمائز ابن الأخ، وجون فيلبي، وليبنز سنة ١٩٥٢م، بزيارة المناطق ابتداء من جدة ثم إلى نجران متجهة نحو وادي الدواسر وما حوله (ليبنز ١٩٩٩: ١٥-٢٠).

وقد حظي جنوبي الجزيرة الغربية ببعثات أثرية أمريكية وفرنسية وألمانية وإيطالية وروسية، نقبت في مواقع مختلفة؛ إلا أن الشمال لم يُنح للبعثات الأثرية التقيب فيه، لأن المملكة العربية السعودية اعتمدت على تكوين منقبين سعوديين قادرين على العمل في هذا المجال، ومن ثم يمكن التعاون مع البعثات الأجنبية من منطلق التكافؤ في المعرفة والخبرة. وعلى أي حال، ماذا كان وراء هذا الاهتمام؟ ولم اقتسموا الجزيرة العربية إلى جنوب وشمال؟

أمّا لم قسمت الجزيرة العربية إلى جنوب وشمال، فإن هذا يرتبط بالرحالة الغربيين أكثر مما يرتبط بالرحالة الروس؛ ولذا فإننا سوف نسبر أغوار معرفة روسيا بالشرق الأدنى القديم في العصور القديمة، ثم في العصور الإسلامية، وما يدل على ذلك قدر المستطاع.

يقول دانتسغ، مؤلف كتاب "الرحالة الروس في الشرق الأوسط": إن أول المصادر المدوّنة عن تجارة الروس مع البيزنطيين، كان عن طريق البحر الأسود. ومع البلدان الآسيوية عن طريق بحر قزوين. فهي ترجع إلى أربعينات القرن التاسع الميلادي، أي الثالث الهجري. ودل على ذلك بالتجارة الرائجة بين روسيا وأقاليمها المختلفة، وبين ما وراء النهر من البلدان الإسلامية. وتحدث عن نوع التجارة التي كانوا يتبادلونها، وأن هذه العلاقات التجارية كانت موجودة، من دون شك، قبل هذه الفترة بمدة طويلة، إذ إن نوع البضاعة التي كانت تسوّق في أسواق المدن الإسلامية، كانت تدل على مصدرها. كما دلل على العلاقة الاقتصادية بين الروس والعرب، بالعثور على مسكوكات إسلامية في روسيا ترجع إلى القرنين الثامن والتاسع الميلاديين، أي القرنين الثاني والثالث الهجريين. وهذا يدل على أن العرب والسامسة الذين كانوا يتعاونون معهم، والذين كانوا يعيشون في منطقة الفولغا، كانوا يزورون روسيا. وفي الوقت ذاته كان الروس أنفسهم يزورون البلدان الإسلامية. ولا شك أن الرحالة المسلم ابن فضلان قد نقل لنا فيما بقي من رحلته

لشعوبها. ونحن لا نستطيع أن نقف مع أو ضد هذه المعلومات، إلا إذا أطلعنا على تقارير أخرى تصف تلك المجتمعات في العصور ذاتها (بارتولد ١٩٨٧: ١٣-١٩).

أما بالنسبة للرحالة الروس إلى الجزيرة العربية، فمما يؤسف له أننا نفتقر إلى وجود رحالة إلى الجزيرة العربية، إذ - على ما يبدو - فإنها لم تكن ضمن اهتمامات الروس في فترة الهجمة الاستكشافية إلى المناطق التي أشرنا إليها. في حين أن الدول الغربية ابتداءً من إيطاليا وانتهاءً ببريطانيا، كثفت رسلها إلى الجزيرة العربية شمالاً وجنوباً، وكل منهم حاول أن يجمع ما أمكن جمعه. فمن اتجه إلى الجنوب، كان يبحث عن براهين تثبت العلاقة بين اليمن وفلسطين، خاصة فيما يتصل بالفترة التي حدثت فيها أحداث ملكة سبأ ونبي الله سليمان. وقد انعكس ذلك حتى على محاولاتهم وضع تسلسل تاريخي لجنوب الجزيرة العربية، وذلك قبل أن تبدأ مرحلة التقيب الأثري في النصف الثاني من القرن العشرين، ما عدل هذا التسلسل بناءً على المعطيات التي أبرزتها التقيبات الأثرية وانخفض بها قرابة أربعة قرون.

أما عن اهتمامهم بالشمال، فهو أيضاً لا يبعد كثيراً عن الأهداف نفسها التي قدم من أجلها رحالة الجنوب. فهم يبحثون عن ما يثبت أخبار التوراة عن القبائل والأماكن التي جاء ذكرها فيها، وعن الصراعات بين هذه القبائل وبني إسرائيل. وكان التركيز بشكل خاص على فترتي القرنين السادس والخامس قبل الميلاد، والقرن الأول قبل الميلاد، وعلى الأخص الحضارة النبطية. وفي الفترة الأخيرة بدأ الاهتمام بالحدود الرومانية والبيزنطية وتتبع النشاط الروماني في هذه المناطق، ومن هنا أصبحت معظم أبحاثهم تنطبع بهذا الطابع، الذي لا يلتفت إلى دور العناصر المحلية في تشكيل تاريخ الجزيرة العربية، سواء في الجنوب أو الشمال. كما أنهم لا يلتفتون بقدر كاف إلى وشائج القربى بين الجنوب والشمال، بل يركزون على الجانب السياسي والحربي الذي يشير إلى العدائيات بين الجهتين، دون الالتفات إلى المعطيات البناءة بين الجنوب والشمال في مجال الفنون والآداب واللغة. وهذا هو ما نسعى إلى تأكيده في منظورنا الحديث، ونتمنى أن يشارك الباحثون من غير العرب في هذا التوجّه.

الأماكن التي تعتنق الدين الإسلامي، ففتحت مدرسة في (قازان) سنة ١٧٥٩م. وازداد الاهتمام بالشرق الأوسط بشكل ملموس في هذه الفترة، إذ شرعت المؤسسات في روسيا بجمع مجموعات كبيرة من المسكوكات، ومجموعات من المواد الأثرية، ونماذج من المخطوطات الإسلامية.

ولعل هذا القدر الكبير من المواد التاريخية والاقتصادية والثقافية، دفع الإمبراطورية الروسية إلى إنشاء جمعية كان لها دور بارز في النشاط العلمي والأكاديمي بجميع فروعها، خاصة ما له صلة بمنطقة الشرق الأوسط وبالأخص ممتلكات الدولة العثمانية ودول البحر المتوسط ومصر وشمال إفريقيا. ولذا أنشئت الجمعية الجغرافية للإمبراطورية الروسية سنة ١٨٤٥م. وقد لعبت هذه الجمعية دوراً كبيراً في الإنجازات، التي حققها الباحثون الروس. وكان من بين مؤسسيها ضابط الأركان العامة (بيرج)، وضابط الأركان العامة (فرونجينكو) وهكذا نلاحظ أن الجمعية الجغرافية بكل منجزاتها وأهدافها كانت لخدمة الإمبراطورية الروسية، وبالأخص خدمة القوات المسلحة الروسية.

بعد هذه الإمامة المختصرة عن خلفيات الاهتمام الروسي بالشرق الأدنى قديماً، والشرق الأوسط حديثاً، والرواسب العلمية والتاريخية، نشعر أن الإمبراطورية الروسية اهتمت بالرحلات إلى مناطق كثيرة. فقد بعثت بعلمائها وباحثيها للوصول إلى معلومات جغرافية وأنثروبولوجية وسكانية، عن المناطق التي تحدها جنوباً والتي تحف البحر المتوسط شمالاً وجنوباً. وهكذا نجد فئتين من الرحالة: رحالة بعثتهم الجمعية الجغرافية للإمبراطورية الروسية، وهؤلاء كان لهم دور كبير في جمع المعلومات المختلفة؛ ومجموعة أخرى من الرحالة كان هدفهم زيارة الأراضي المقدسة في بلاد الشام وفلسطين، وهؤلاء أسهموا بقدر وافر في جمع المعلومات، خاصة ذات العلاقة بالكنائس والأديرة ونشاطها ونشاط البعثات التبشيرية، من أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية، والصراع الدائر بين المذاهب المحلية والمذاهب القادمة من وراء البحار. ويبدو واضحاً من خلال هذه التقارير السخط المركز على الدولة العثمانية وولاتها في الأقاليم المختلفة، والأوضاع الاجتماعية المتردية في تلك الأقاليم نتيجة لتعسف الولاة وقهرهم

عارية وغير مغطاة بأي غطاء، يستقر عليها مفتاح فضي كبير. والحاج حر في أسلوب استعماله والتبرك به، يستطيع أن يضعه على صدره أو يقبله. أما أجرة هذه المراسيم فتحددها رغبة وكرم الحاج نفسه... أما الدخول إلى حرم بيت الله فليس من الأمور السهلة، وهو ليس في متناول جميع الحجاج في كل الأحوال. ويفتح باب البيت في موسم الحج فقط، وكذلك في أوقات معينة في النهار، والدخول إلى هناك يكلف مالاً ونقوداً غير قليلة. ومع ذلك إذا وجدت الرغبة للدخول فمن الممكن في أي وقت يشاء الحاج ويتوصية خاصة مسبقة أن يشبع رغبته غير أن الدخول في متناول الشخصيات الغنية جداً فقط، وهو يحتاج إلى كثير من الجهد والعناء ومصاريف غير اعتيادية" (دانتسغ ١٩٦٥: ٣٢٧).

كما زار "إيشايف" السوق، ووصفه بقوله: "هناك سوق خاصة لتجارة الرقيق في وسط السوق المركزي بقرب بيت الله وهو يتألف من قسمين غير كبيرين تجلس الجاريات وأولادهن بشكل اعتيادي على الكراسي أما العبيد فهم يجلسون على الأرض مباشرة وينتمي هؤلاء الناس التمساء إلى العرق الأسود والأصفر، أما من أين يؤتى بهم إلى هنا فإني لا أعرف عنهم بالضبط أي شيء، وأما ثمن العبد بصورة عامة فليس غالباً". وهكذا نجد أن هذه الأوصاف التي قدمها إيشايف، لم تكن على مستوى يجعله أهلاً لنقل معلومات كافية عن المناطق التي زارها، لأنه لم يتدرب في مدارج الجمعية الجغرافية، ولم يتحدث إلا عن الرقيق؛ ولكنه لم يحدثنا عن حلقات العلم في المسجد الحرام، ولا شك أن بعضاً من قومه أو من جيران دولته كانوا يدرسون في الحرم، إلا إذا كان مؤلف هذا الكتاب لم ينتق إلا هذه القطع التي لا تعطي معلومات مفصلة (دانتسغ ١٩٦٥: ٣٢٨).

أما الرحالة الثاني، فهو النقيب الركن "دافليتشين"، وقد زار الحجاز سنة ١٨٩٨م. إن هذا الرحالة، وإن كنا لم نعرف من خلال ما جاء عنه، الطريق الذي سلكه للحجاز هل كان بحراً أم برّاً، فإن إرساله من قبل الحكومة الروسية إلى الحجاز جاء عن طريق اهتمامها بأثر الحج في مسلمي روسيا، مما يوحي بأن هناك مظاهر لاحظتها الحكومة الروسية على المسلمين الذين يعودون من الحج. ولذا، فقد اتبعت الطريقة

ولا نستطيع أن نعلل أسباب ندرة الرحالة الروس إلى الجزيرة العربية، إلا إلى أن مَن كتبوا عن الرحالة ورحلاتهم لم يهتموا بإبراز نشاط الرحالة، أو بشكل أدق الحجاج المسلمين الذين كانوا يتوجهون إلى الأراضي المقدسة في الجزيرة العربية؛ فهؤلاء هم صنو الرحالة من غير المسلمين، الذين كانوا يقصدون الأراضي المقدسة في بلاد الشام وفلسطين، واهتم بهم الباحثون الروس. وعن طريق هذا الاهتمام بهم وصلتنا معلومات كثيرة عن المجتمعات التي زاروها. أما الحجاج المسلمون الروس، فلا شك أنهم كانوا ضمن الحجاج المسلمين في كل عام، ولا نستبعد أنهم تركوا لنا رصيذاً ضخماً من الانطباعات، كما هو حال غيرهم من الرحالة المسلمين وبالأخص المغاربة، الذين كشفت أخبار رحلاتهم عن معلومات وافرة عن الحجاز والجزيرة العربية، في عصور إسلامية مختلفة.

وعلى الرغم من هذا إلا أننا نجد ذكراً لثلاثة موظفين روس كانوا يعملون في القنصلية الروسية بجدة، وأولهم (إيشايف) الذي سافر من جدة إلى مكة سنة ١٨٩٥م. ونقل لنا مؤلف كتاب "الرحالة الروس في الشرق الأوسط" قبسات مما كتبه إيشايف من انطباعات، وهو يصف الكعبة بقوله: "أنها بشكل مستطيل. وأنه أقدس مكان في مكة" ثم بقوله: "ولقد ثبت الحجر الأسود المشهور في الزاوية الشرقية من الجدار، وهو أقدس شيء في بيت الله. وموقعه في الجدار في علو بحيث يكون باستطاعة المرء تقبيله... ويستقر الحجر من الأعلى والجوانب في طوق من الفضة، ويظهر جزء منه فقط وذلك لتقبيله من قبل الحجاج، وأما تحديد حجمه فليس بالإمكان... وتغطي جدران بناء بيت الله من جميع أطرافها عادة بقماش حريري سميك من اللون الأسود.. وكتبت في الغطاء كلمات باللغة العربية تتعلق بالعقائد الأساسية الإسلامية بطريقة التلطيز... لا إله إلا الله، محمد رسول الله... ويهياً في كل سنة غطاء جديد بأمر السلطان العثماني" (دانتسغ ١٩٦٥: ٣٢٨-٣٣٦).

أما المنظر الداخلي للبيت فهو شيء فريد من نوعه، ويصفه بقوله: "تقف في الجانب الأيسر من المدخل وعند الباب تماماً منضدة خشبية متوسطة الحجم وبسيطة جداً، وهي

على الرغم من أن الكثير من الحجاج يجلبون معهم إلى مكة أيضاً بضائعهم الخاصة لبيعها هناك. وبيعون أيضاً عند انتهاء موسم الحج أو في حالة الشح والنقص في نقودهم، قسماً لا يستهان به من الممتلكات الشخصية التي يحملونها (دانتسغ ١٩٦٥: ٣٤٠).

ومما لاحظناه على هؤلاء الرحالة الثلاثة أنهم لم يهتموا إلا بالحجاج الآسيويين في حين لا نجد ذكراً لغيرهم من الحجاج من أفريقيا مثلاً، ولعل الاهتمام بالآسيويين ناشئ من اهتمام الحكومة الروسية بهم أكثر من اهتمامها بحجاج أفريقيا. كما أن مَنْ قَدَّمَ مِنْ هؤلاء الرحالة لم يذكر شيئاً عن اهتمامهم على قلتهم بالمدينة المنورة إذ أن تركيزهم جاء على مكة فقط، ولا ندري لعل ذلك راجع إلى البعد المكاني عن القنصلية في جدة.

أما الرحالة الذي اختلف عن هؤلاء فهو "إدوارد نولده" المولود سنة ١٨٤٩م في مقاطعة (لاتفيا)، الذي يقول عنه عوض البادي الذي ترجم نص الرحلة إلى العربية عام ١٩٩٧م "أن هذه الرحلة تكتسب أهميتها من كونها رحلة سياسية بحثة لم يخف صاحبها شخصيته كغيره من الكثير من الرحالة الآخرين وإن كان لم يفصح عن سر رحلته والمهمة التي جاء من أجلها حتى في كتابه. كما أن ما كتبه نولده، خصوصاً في وصفه الأوضاع السياسية في المنطقة، وعرضه وتحليله لتاريخ الأحداث، يُعدُّ جديداً ومتميزاً، وينم عن معرفة حقيقية بأوضاع الجزيرة العربية، التي خصها بفصل كامل من الكتاب. كما أن ما يقدمه من معلومات له بعض الأهمية، للباحثين المهتمين بالتاريخ السياسي لتلك المرحلة الغامضة" (البادي ١٩٩٧: ١٠-١١).

وقد أنهى نولده حياته منتحراً في اليوم الحادي عشر من شهر مارس سنة ١٨٩٥م، وهو في السادسة والأربعين من عمره، في لندن، ويبدو أنه كان يعمل سراً لحساب استخبارات القيصرة الروسي. أما مفاوضاته مع ابن رشيد، فكانت تهدف إلى تأمين مرفأً للسفن الروسية على الخليج (البادي ١٩٩٧: ١٢).

وفي مقدمته للترجمة، يقول عوض البادي: "... إنني لا أقدم ما ورد في هذه الرحلة من معلومات عن الأوضاع السياسية في وسط الجزيرة العربية كحقائق لا تقبل المجادلة،

نفسها التي اتبعتها الحكومة الهولندية عندما بعثت بعض الرحالة إلى مكة لمعرفة أثر الحج على الحجاج الإندونيسيين. ويبدو أن دافليتشين قد قام بالمهمة، وألح إلى دور السلطة التركية في الحجاز (فاسيلييف ١٩٨٦: ١٢).

وكان مما قاله دافليتشين: "سلطة الحكومة التركية كانت ولا تزال حتى في الوقت الحاضر تعتمد على القوى المسلحة فقط، فالسلطة هذه موجودة فقط في المواقع التي تتعسكر فيها القوات. وبتعبير آخر أن الترك يملكون المدن فقط، وسيطرون على الطريق بين مكة وجدة بشكل أو بآخر، وهي تدار بوظائف خاصة... ولم ينظم الترك خلال الأربعة قرون التي تملكوا فيها الحجاز أية علاقة بينهم وبين السكان الأصليين، ولم يستطيعوا تهدئتهم أو التأثير فيهم من الناحية الثقافية. والعلاقة بين الجانبين من دون ثقة وفي عداوة مستمر... وتتميز السلطة الإدارية في أكثر الأحوال بالرياء، والتعسف، والجور، أما عمليات القوات المسلحة فكانت على الدوام غير حاسمة وغير متواصلة، ولهذا السبب كان البدو لا يخشون السلطة ولا يكتون لها الاحترام الواجب". وهنا نلاحظ موقف النقيب الركن من السلطة العثمانية، وعن علاقة الترك بأهل الحجاز خلال أربعة قرون، مع أننا نشاهد أن الدولة العثمانية وسّعت الحرمين الشريفين واهتمت بالمباني الحكومية، وأدخلت كثيراً من التقاليد والعادات التركية في حاضرة الحجاز (دانتسغ ١٩٦٥: ٣٣٨-٣٤٠).

أما الرحالة الثالث وهو مرتبط أيضاً بالأماكن المقدسة في الحجاز فإنه القائم بأعمال القنصلية الروسية بجدة "نيكولسكي" وقد أشار الباحث عن "الرحالة الروس في الشرق الأوسط" إلى أن في تقريره معلومات غزيرة وقد أشار في معلوماته إلى أن أغنى الحجاج هم الإندونيسيون وأن أفقرهم هم الهنود، ولعلنا ننقل هذه الفقرة مما جاء في تقريره وهي تعطي لمحة عن الناحية الاقتصادية في مكة وتأثير الحجاج بها: "وصل ما مجموعه سبعة وستين ألف شخص في موسم الحج لسنة ١٩٠٤ - ١٩٠٥ عن طريق ميناء جدة وينبع، أما المجموع العام للحجاج الذين زاروا مكة في هذه السنة فيقدر بين مائة وخمسين ألفاً ومائتي ألف شخص. وتعتبر هذه العناصر الوافدة جميعها مستهلكاً كبيراً للبضائع والسلع وذلك

وهكذا نلاحظ أن البارون إدوارد نولده كان يمكن أن يتحصل على قدر وافر من المعلومات، لو أنه دخل الجزيرة العربية بطريقة أكثر تواضعاً ورقة؛ ولكن يبدو أن طبيعة عمله وما كُلف به اقتضى هذا المظهر الأرسقراطي.

هناك جانب آخر نود أن نلقي الضوء عليه، ذلك أنه وإن كنا نفتقر إلى معلومات عن رحالة روس إلى الجزيرة العربية في حجم المعلومات، التي خرجنا بها من الرحالة الغربيين، إلا أننا لم نعدم دراسات قيّمة عن الجزيرة العربية نشأت بمنهجية عالية وعميقة في الأكاديميات الروسية، فأنجبت أعمالاً علمية كان لها دورها في تنشيط البحث العلمي. ولعل في مقدمة هذه الدراسات التي قامت بهذا الدور كتاب: "الشمال الشرقي الإفريقي في العصور الوسيطة المبكرة وعلاقاتها بالجزيرة العربية من القرن السادس إلى منتصف القرن السابع الميلادي"، لمؤلفه العالم الجليل "يوري كوبيشانوف". وقد نقله إلى العربية صلاح الدين عثمان هاشم، ونشرته الجامعة الأردنية سنة ١٩٨٨م. هذا العمل العلمي جعل الدكتور هاشم يقول عن المؤلف: "إنه من المؤرخين وعلماء الأنثروبولوجيا المرموقين في الاتحاد السوفيتي، ويُعد حالياً المؤرخ الأول لأفريقيا في تلك البلاد؛ بل هو خبير في العالم في تاريخ أثيوبيا القديم". وقد ولد المؤلف سنة ١٩٣٤م بمدينة كاركوف في جمهورية أوكرانيا، ونال تعليمه في معهد اللغات الشرقية التابع لجامعة موسكو، وبدأ نشاطه العلمي منذ أوائل الستينات مركزاً على دراسة أثيوبيا القديمة والوسيطة. ولا نغالي إذا أضفنا إلى ذلك قول الدكتور هاشم أن المؤرخ: "عالم لغوي موهوب يجيد عدداً من اللغات سامية وإفريقية وهندوأوروبية". وعندما تقرأ هذا العمل العلمي، تجد أن مقدمته تُعدُّ خلاصة مركزة لتجربته العلمية في مجال البحث.

ولعلنا نقف أمام هذا التقسيم الجغرافي الحضاري المتمثل في أن حيّز المكان، الذي يبحث عنه، يقول عنه إنه أشبه بنواة تحيط بها ثلاثة أغلفة أو دوائر: أما النواة فهي أفريقيا التي لم تدرس دراسة كافية، والتي تهمن أكثر من غيرها والواقعة إلى الجنوب من ليبيا ومصر... أما أولى الدوائر المحيطة بالنواة، فتتمثلها أقطار الشمال الأفريقي مضافاً إليها الجزيرة العربية وإلى حدٍ ما أجزاء من سوريا وفلسطين... وأما الدائرة الثانية،

ولكنها في كثير من جوانبها تناقض ما هو متعارف عليه على أنه حقائق في بعض الكتابات التاريخية والسياسية، وخاصة المتعلقة بأحداث المنطقة خلال تلك الفترة" (البادي ١٩٩٧: ١٣). ونحن نؤيد ما أشار إليه عوض البادي، خاصة إذا ما تصورنا الشخصية القيصرية، التي دخلت شمالي الجزيرة العربية. ولنا أن نستعرض التجهيزات التي أعدها لرحلته، إذ يقول نولده: "بأوامر خاصة من جلالة السلطان العثماني أرسلت معي فرقة حراسة شرف من الجنود الأتراك رافقتي حتى الجوف، وكانت هذه الفرقة تتكون من ضابط وخمسة وعشرين من الرجال المميزين مع خيولهم، وكلهم من الأكراد الذين لا يتوقع منهم أي تهاون أو ضعف... كل هذا تم لحسن الحظ في ١٤ يوماً فأصبح بإمكانني في أول يناير ١٨٩٣م مغادرة دمشق. كانت حقاً قافلة مهيبية: ٣٦ رجلاً في الخدمة وأربعين جملًا وستة خيول وعدد مختلف من البغال والحمير، يضاف إلى ذلك الحراسة التي تتكون من ٢٦ رجلاً ومعهم أمتعتهم محمولة على ٢٥ جملًا، وكانوا يشكلون قافلة وحدهم". ولعل هذه القافلة أشبه بقافلة غازية لا باحثة عن معرفة أو لإجراء اتفاقات. ويمكننا القول إن نولده قد مسه الغرور، إذ يقول عند قرب دخوله إلى حائل: "إن قليلاً من الأجانب الذين وطئوا حائل لم يطلبوا استقبلاً شعبياً أو رسمياً مثل ما هو الأمر معي، ولكن مراعاة للشعور العام قاموا بارتداء الزي العربي" (البادي ١٩٩٧: ٣٩).

وفي وصفه لابن رشيد يقول: "إن ابن رشيد ذكي وداهية ماهر وبدوي مستنير ومطلع بصورة جيدة، إن فهمه الواضح للشئون الأوروبية كان حقاً مثاراً للدهشة إذا ما أخذنا في الاعتبار المزيج الغربي والمتكرر لدى العرب من دهاء سياسي وبربرية، ومن وحشية مع كياسة وكرم ضيافة تقليديين، ومن فهم شاف وفطنة مع جهل وتعصب - حقيقة إنه مزيج غريب وخلطة مدهشة". ويقول في موضع آخر: "مثل ما هو الحال مع كل الناس المرتابين عديمي الثقة والمتحفظين أساساً، فإنه مما ينصح به دائماً مع العرب هو إعطاؤهم الوقت لكي يعتادوا على الأشخاص الجدد والاتصالات الجديدة والأفكار الجديدة، بعد ذلك فإنهم يصبحون مرنين ويستطيع المرء أن يعايشهم ويسايرهم بصورة جيدة للغاية" (البادي ١٩٩٧: ٥١-٥٣).

الأحباش، من جهة، وبين فارس وتمثلها دولة المناذرة وكندة، وبيزنطة وتمثلها دولة الفساسنة.

وفي استعراضه لكل هذه الصراعات والكرّ والفرّ بين الجنوب والشمال. جعل الإيدولوجيات الدينية المتمثلة في النصرانية واليهودية أحد المحاور المهمة في هذا الصراع. وأعطى لليهودية قدراً أوفر من الاهتمام في أدق الأشياء وأقلها أهمية، ومنها قوله: "وتذكر لنا مصادر القرن السادس اسم شخصين من أعيان حمير كانا يدينان باليهودية، أحدهما ملك حمير يوسف ذو نواس، والآخر القائد ابن القيل حجي أيهر، وكلاهما ينتمي إلى عشيرة يزن من الأعيان. وكان الأول ابناً لأمة يهودية من أهل نصيبين، أما الثاني فكان أيضاً ابناً لأمة (كوبيشانوف ١٩٨٨: ٢٤-٣٠)؛ ولكنه لم يذكر ديانة هذه الأمة إلا أنه ذكر هذه المعلومة وترك للقارئ تصور أنها هي أيضاً يهودية، بحكم ذكرها في سياق أم يوسف ذو نواس. ويبدو أن المؤلف كان في شك من أمره، إلا أنه وجد فيما أشار إليه "لوندن" بغيته في افتراضه أن "حجي" اسم توراني يسمح بالجزم بالأصل العرقي لأمة، أي أنها كانت يهودية أو سامرية. ولا أدري لماذا لا يكون الاسم "حجي" اسماً عربياً مشتركاً بين الأسماء السامية؟

ثم يمضي في قوله: "أما الآثار اليهودية في الجنوب العربي، فتتمثل في الرقوم المدونة بالكتابة العبرية" (كوبيشانوف ١٩٨٨: ٢٤-٣٠).

إن المعروف من هذه الرقوم حتى الآن، اثنان فقط، وإذا عرفنا أن النقوش العربية، التي وجدت حتى الآن في جنوب الجزيرة العربية فقط تعد بالآلاف، فإن وجود نقشين فقط لا يضيف برهاناً على وجود آثار يهودية في جنوب الجزيرة العربية تشهد عليها الرقوم؛ إذ إننا لا نستطيع أن نقول إن هناك آثاراً هندية وآثاراً تدمرية في مملكة حضرموت، لمجرد ذكر اثنين من الهنود واثنين من التدمريين واثنين من الأحباش في خدمة أحد ملوك حضرموت، في نصوص العقلة شمالي شبوة في قلعة أنودم.

وتتبع المؤلف لليهود واليهودية في الجزيرة العربية قد يثير نوعاً من الاستغراب. فهو يقول في موضع أنه يجدر التذكير في هذا الصدد بأن الحيرة نفسها لم تكن دولة يهودية، وإن

فتمثلها أوروبا والبحر المتوسط ومعها آسيا الصغرى وإيران والهند وسيرلانكا، حيث قامت المراكز الكبرى الاقتصادية والسياسية للعالم في ذلك العهد، وحيث تقرر في المقام الأول مصير ذلك العالم (كوبيشانوف ١٩٨٨: ٩-١٢).

وكانت القارة الأوراسية (باستثناء منطقتي البحر المتوسط وآسيا الجنوبية وجنوب شرقي آسيا)، تشكل بالنسبة لإطار بحثنا شيئاً أشبه بالطبقة الخارجية، أي الدائرة الثالثة للنواة التاريخية الأفريقية، التي تشغل اهتمامنا هنا، بحيث لم يكن لهذه الأخيرة في ذلك العهد سوى اتصالات نادرة مع تلك المناطق القصية. وهكذا حدد الباحث إطار بحثه الموسع في هذا الكتاب، وجعل نواة هذا البحث شرق إفريقيا والجزيرة العربية. وحدد الإمبراطوريات الكبرى المعاصرة في ذلك الوقت، أي خلال القرنين الخامس والسادس الميلاديين، بثلاث إمبراطوريات هي: الإمبراطورية الرومانية الشرقية، وإمبراطورية الفرس الساسانيين، وإمبراطورية الهفتاليين أو الهياطلة. وكانت هذه الأخيرة قد وحدت بالتقريب جميع آسيا الوسطى إلى هنقاريا والهند الشمالية الغربية. كما أشار إلى إمبراطوريات أقل شأناً في ذلك العصر، وهي: إمبراطورية الخاروش، وخاقانيات سهوب أوراسيا، والممالك الصغيرة للنوبة السفلى وشمالي جزيرة العرب.

ويرى المؤلف أن أكبر الدول الأفريقية في القرنين السادس والسابع هي مملكة أكسوم، التي كانت قاعدتها الأساسية هضبة (التيجرة) بشمالي أثيوبيا. وقد عملت هذه الدولة منذ القرنين الثالث والرابع الميلاديين على إخضاع القبائل النازلة بالمناطق الجبلية والسهول المحيطة بالهضبة لسلطانها؛ بل بسطت سيطرتها على جيرانها الأغنياء، مثل الجنوب العربي والسودان الشرقي، أي مملكتي مروى وحمير. وفي المساحات العريضة لبلاد النوبة الصحراء الليبية والنوبة السفلى، كانت تلتقي حدود النفوذ السياسي لمملكة أكسوم ولبيزنطة (كوبيشانوف ١٩٨٨: ١٧-٢٠).

أما بلاد العرب الوسطى، فكانت تتلاقى مع حدود أكسوم وبيزنطة وإيران. وهكذا حدد التوسع الحبشي أو الأكسومي من الناحية الشرقية والغربية، وجعل مرحلة القرنين السادس والسابع الميلاديين مرحلة صراع في الجزيرة العربية بين

الجنوب الغربي للجزيرة العربية، كانت الشغل الشاغل للقوى العظمى في الشمال، آنذاك، والدول والقبائل التي كانت تدور في فلهم.

وقد سبق هذا العمل عمل آخر قامت به العالمة الروسية الجليلة نينا فكتورفنا بيغوليفيسكييا، وهو موضوع كتابها: "العرب على حدود بيزنطة وإيران من القرن الرابع إلى القرن السادس الميلاديين". ولعل هذا البحث وهذا العمل كان انطلاقاً لأبحاث أخرى. ولدت مؤلفة الكتاب عام ١٨٩٤م بمدينة بطرسبرغ في أسرة مرموقة، أثرت روسيا بعدد من العلماء. ودرست التاريخ واللغات الكلاسيكية بجامعة بطرسبرغ، ثم تخصصت في اللغات السامية، وهي العبرية والآرامية والسريانية والحبشية واللغة العربية. وعندما توفيت عام ١٩٧٠م، كانت نينا قد أضحت من العلماء المرموقين في بلادها؛ بل اكتسبت شهرة عالمية في ميدان دراستها. وقد تُرجم كتابها إلى اللغة العربية الدكتور/ صلاح عثمان هاشم.

وقد أورد المترجم الأسباب التي جعلت مؤلف نينا يستحق النقل إلى اللغة العربية. فهي تعرف معرفة جيدة للغتين الكلاسيكيتين للعالم القديم اليونانية واللاتينية، ما جعلها قادرة على استخراج أخبار القبائل العربية وعلاقتها مع الإمبراطورية الرومانية ثم البيزنطية، من المصادر التي كتبت بها هاتان اللغتان. كما استطاعت من خلال معرفتها باللغات السامية أن تستفيد من المادة المدونة بهذه اللغات، فيما يخص القبائل العربية. وكانت لدراساتها للنصرانية الأولى ونشأة الكنيسة، على معرفة تامة بالخلافات المذهبية في القرون الأولى من تاريخها، وهي تلك الخلافات التي مست القبائل العربية ذاتها. كما اهتمت في مؤخر حياتها بتاريخ إيران القديمة عامة، وفي العصر الساساني، على وجه الخصوص. ولهذا استطاعت أن تلقي ضوءاً ساطعاً على تاريخ اللخمين، الذين كانوا على صلة بالفرس. إن هذا الكتاب يعد بحق واحداً من الكتب المهمة التي تدل على احتراف الأكاديميين الروس للبحث العلمي منهجاً قوياً وبحثاً عن الحقيقة.

وفي المقدمة التي وضعتها المؤلفة لكتابها تقول: "إن الفتوحات العربية الكبرى لا يمكن فهمها إلا على ضوء الدراسة العميقة لتاريخ العرب للفترة السابقة للإسلام، أي

وجد فيها يهود؛ ثم يقول: "ولا علم لنا البتة بوجود ملاحه لليهود في الخليج الفارسي أو خليج عدن. أما فيما يتصل بطريق القوافل، الذي يخترق الحجاز، فلم يمر بمنازل يهودية فحسب بل بمنازل نصرانية كذلك". ويقول في موضع آخر وهو يتحدث عن أعيان حمير: "وعلى نقض هذا كانت اليهودية في أعينهم ديناً أكثر أصالة من النسطورية" (كوبيشانوف ١٩٨٨: ٣٠-٣٣).

ومضى الباحث يكرر بين صفحة وأخرى موضوع الأمة اليهودية، التي جاءت من نصيبين. فهو عند حديثه عن الانقلاب الذي حدث في حمير عام ٥١٧م يقول: "فقد ملك حمير معد كرب في سنة ٥١٧م عرشه وحياته، فقد انتزع العرش منه ممثله عشيرة ذي يزن الأرستقراطية، الذي كان في الوقت ذاته على ما يبدو حفيداً للملك أب كرب أسعد وأبناً لأمة يهودية أصلها من نصيبين".

ويبدو أن الباحث يريد أن يعطي الانطباع أن دولة حمير كانت دولة يهودية، فهو يقول: "ومن بين القبائل العربية التي اعتنقت النصرانية في بداية القرن السادس، كان الغساسنة وسليح وقسم من كندة ومن اللخمين وغيرهم، أما اليهود فلم تقم لهم في ذلك العهد دولة ما باستثناء حمير، وإن شكّلوا في واقع الأمر شطراً مهماً من سكان العراق وسوريا وفلسطين، وأيضاً الإسكندرية والقسطنطينية وطيسفون وغيرها من المدن الكبرى". ثم يقول: "وانتشرت المستعمرات اليهودية في الجزيرة العربية نفسها بجزيرة يوتابا "تيران"، عند مدخل خليج العقبة ومناطق تيماء والحجر وبواحات أذرعات وفدك وخيبر ومقنا ووادي القرى ويشرب والطائف، حيث كان اليهود يتحدثون بالعربية... وكانت أقرب المستعمرات اليهودية لحمير تلك التي بالطائف ويشرب على الحدود الشمالية لمملكة حمير... وإلى جانب اليهود أقام بهذه الواحات أيضاً العرب الذين دانوا بالوثنية" (كوبيشانوف ١٩٨٨: ٢٤-٢٨).

وعلى الرغم من التتبع اللغوي لليهود في الجزيرة العربية، وجعل دولة حمير دولة يهودية، إلا أن المؤلف يعد واحداً من الأعلام الكبار الذين درسوا بعمق أحداث الجزيرة العربية والصراعات الفارسية والبيزنطية، سياسياً ودينياً واقتصادياً. وقد استطاع أن يضع صورة واضحة تدل على أن الأحداث في

وواقع الأمر أن التاريخ السياسي للعرب قبل الإسلام ومتابعة أحداثه الزمنية، ليس من الميسور كتابته دون الاستعانة بالمصادر البيزنطية المدونة باليونانية واللاتينية أو من دون مادة المؤلفين السريانيين. هذه المصادر تفضل المؤلفات العربية التاريخية في أنها معاصرة للأحداث التي تؤرخ لها. وعلى ذلك فإنها هي أيضاً بدورها يجب أن تخضع للفحص الدقيق. ولقد ورثت بيزنطة كل الغرور والصلف الذين اتصفت بهما روما من قبل، حيث عدت جميع شعوب الشرق من البرابرة، بما فيهم الفرس أنفسهم، علماً بأن الفرس لم يكونوا أقل من الرومان تمدناً؛ بل إنهم فاقوهم في كثير المجالات. لذلك، لم يكن غريباً والحالة هذه أن بدت القبائل العربية غير جديرة بالاهتمام" (بيغوليفسكي ١٩٨٥: ٢٦-٣٥).

وتناولت بعد ذلك، في تحليل دقيق، المصادر اليونانية واللاتينية، خاصة الأحداث التي تناولت المنطقة العربية. ثم تحدثت عن الحوليات السريانية وما تحويه من معلومات عن العرب قبل الإسلام، خاصة أن المصادر السريانية التي تعالج الحديث عن العرب قبل الإسلام تمتاز بأنها تستقي مادتها من روايات متواترة، عن طريق السماع وضاربة بجذورها في أعمال الوسط العربي؛ فالسريان قد ربطتهم بالعرب عقيدة مشتركة وهي النصرانية، سواء في صورتها النسطورية في الشرق، أو صورتها المونوفيزية في المناطق الواقعة إلى الغرب من ذلك. وقد أشر علماء اللغة أكثر من مرة إلى حقيقة استخدام العرب والسريان في علاقتهم اليومية لغة فريدة من نوعها، تمثل مزيجاً مشتركاً بين السريانية والعربية (بيغوليفسكي ١٩٨٥: ٢٣-٢٢).

وتصل المؤلف في حديثها عن المصادر، إلى أن جميع هذه المصادر المتعددة اللغات والمتنوعة السمات، إذا ضم بعضها إلى بعض، فإن بإمكانها أن تعين على صياغة تاريخ العرب قبل الإسلام؛ لا في صورة أحلافهم المختلفة فحسب، كما هو الشأن مع اللخمين والكنديين والفساسنة، بل أيضاً في صورة أعم من ذلك يدخل فيها كافة العرب في الشرق الأدنى، حيث وجدوا أنفسهم بين متنافسين شديدي البأس هما بيزنطة وإيران. وختمت حديثها عن المصادر بشكل عام، بلمحة متميزة عن البحوث الحديثة المعاصرة لها، وتناولت بالنقد والتحليل

دراسة تاريخهم في الجزيرة العربية والشرق الأدنى. ولقد كان للدوليات العربية في الجنوب العربي حضارة منتعشة، انعكست، في مدنها وآثارها المعمارية وطريقة كتابتها العريقة. فهي تمثل مرحلة مهمة في تاريخ تطور الشعب العربي... ولقد وحدت العقيدة الجديدة من كلمة العرب، ووضعت حداً لمعتقداتهم البالية، وساقتهم إلى فكرة الوحدةانية التي لم تكن غريبة، آنذاك، على الديانات الكبرى في الشرق الأدنى... وكان ظهور التشكيلات الاجتماعية وتطورها في الشرق الأدنى، وما تميزت به من طابع فريد خاص بها، هو القاعدة التي قامت عليها بحوثنا، بما في ذلك هذا البحث، عن الشعب العربي، الذي لم تنضب طاقته الخلاقة إلى أيامنا هذه" (بيغوليفسكي ١٩٨٥: ١٤-١٥).

ولعل من أجمل ما يُقرأ في هذا الكتاب، حديث المؤلف عن المصادر التي اعتمدت عليها في دراستها؛ إذ كان أول مصدر من مصادرها هي النقوش الكتابية المنحوتة على الصخر، بجميع أنواعها وتفرعاتها، وأعمال العلماء الذين اهتموا بهذه الكتابات ودرسوها واستفادوا منها؛ ثم عطف على الشعر الجاهلي بوصفه مصدراً من مصادر الحياة الاجتماعية والثقافية؛ وبعدئذ عرجت على الأخبار والإخباريين وما جاء في كتبهم من أحداث تصف الحياة الجاهلية.

أما المصنفات الجغرافية والتاريخية التي دونت في العصور الإسلامية، فهي تمثل في رأيها صياغة متأخرة كثيراً لمادة غلب عليها الطابع الأسطوري، خاصة أن هذه المصنفات الإسلامية درجت على النقل بعضها عن بعض دون تغيير يذكر، إلا أن معطيات بعض المؤلفين تُعطي أهمية كبيرة عند مقابلتها بمادة المؤرخين البيزنطيين. كما أن بعض الروايات التي حفظها لنا بعض المؤرخين المسلمين، من أمثال حمزة الأصفهاني والطبري، يمكن قبولها إذا ما قورنت بما جاء في النقوش العربية الجنوبية والشمالية. كما قدّمت دراسة تحليلية للطبري والمسعودي وأبو الفداء، ثم تقول في ثانيا دراستها للمصادر العربية: "غير أن هذه المصادر العربية ليس فيها الكفاية لإخراج تاريخ متتابع ومتماسك للدوليات العربية قبل الإسلام، أو لتقييم دوره في تاريخ الشرق الأدنى عامة، وعلاقتها مع كل من بيزنطة وإيران.

أعمال كل من:

المعطيات السياسية والاجتماعية والثقافية (بيغوليفسكيكا
١٩٨٥: ٣٤-٣٥).

إن استعراضنا لهذه النماذج من الباحثين لا يعني عدم وجود آخرين يبذلون جهداً كبيراً لدراسة التاريخ العربي والإسلامي، ولعل من أبرزهم البروفيسور لندين، الذي كتب عدداً من الأبحاث التي تهتم بالنقوش العربية، ونشر معظمها في مطبوعات ندوة الدراسات العربية التي تعقد في بريطانيا كل عام، ابتداءً من العدد الثاني الذي صدر سنة ١٩٧٢م حتى العدد ٢٥ الذي صدر سنة ١٩٩٥م، وكلها إما دراسات لنقوش أو عرض لأبحاث وكتب، أو تعليقات على أعمال أقيمت في الندوة؛ وكلها تدل على عمق ومعرفة بتاريخ الجزيرة العربية في عصورها المختلفة.

وهناك عدد من الباحثين الروس الذين عنوا بالجزيرة العربية وتاريخها خلال القرن العشرين، استعرضهم الباحث فاسيلييف في كتابه: تاريخ العربية السعودية (فاسيلييف ١٩٨٦) سنعرض لأعمالهم مستقبلاً.

أ.د. عبد الرحمن الطيب الأنصاري - الرياض - المملكة العربية السعودية.

المراجع

أولاً: المراجع العربية:

صلاح الدين عثمان هاشم، قسم التراث العربي بالمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.

دانتسيغ، بوريس ١٩٦٥، الرحالة الروس في الشرق الأوسط، ترجمة معروف خزنة، دار الفكر للنشر، موسكو.

فاسيلييف، أليكسي ١٩٨٦، تاريخ العربية السعودية، ترجمة خيرى الضامن، وجمال المشطة، دار التقدم، موسكو.

كوبيشانوف، يوري ميخايلوفتش ١٩٨٨، الشمال الشرقي الإفريقي في العصور الوسيطة المبكرة وعلاقته بالجزيرة العربية من القرن السادس إلى منتصف القرن السابع، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، عمان.

لينز، فيليب ١٩٩٩، رحلة استكشافية في وسط الجزيرة العربية، ترجمة محمد محمد الحناش، دار الملك عبد العزيز، الرياض.

١- المستشرق الفرنسي كوسان دي بريسيفال. ٢- المستشرق الكبير تيودور نولدكه. ٣- المستشرق الألماني روتشتين الذي أفرد بحثاً عن تاريخ اللخمين. ٤- المستشرق الفرنسي لامنس. ٥- المستشرق السويدي ج. أولندر وبحثه عن قبيلة كندة. ٦- البروفيسور البلجيكي ج. ريمانز. ٧- المستشركة الفرنسية جاكلين بيرين. ٨- العالة الألمانية ماريا هفتر. ٩- العالم الإنجليزي بيستون. ١٠- البعثة الروسي أ. ج. لندين.

وأخيراً وليس آخرًا العالم العربي عرفان شهيد، وغيرهم من العلماء الذين قاموا بدور في هذا المجال.

ولعله كان من المناسب أن نستعرض ما جاء في الكتاب؛ ولكن ما قدمناه من دراسة في المصادر، قامت بها المؤلفة، تضع عملها رمزاً للعمل الدؤوب والنقد البناء والحيادية في الطرح، دون الوقوف إلى جانب طرف ضد الآخر وأظهرت أهمية القبائل العربية والدويلات العربية في الشمال ودورهم في

إسماعيل، صابرة مؤمن ١٩٩٨، جدة خلال الفترة ١٢٨٦-١٣٢٦هـ/ ١٨٦٩-١٩٠٨م، إصدارات دار الملك عبد العزيز، الرياض.

البادي، عوض ١٩٩٧، الأوضاع السياسية في وسط الجزيرة العربية عند نهاية القرن التاسع عشر، نص رحلة البارون ادوارد نولده مبعوث روسيا إلى نجد عام ١٢١٠هـ/ ١٨٩٣م، سلسلة رحلات في بلاد العرب "٢"، المعهد العربي للدراسات الدولية، واشنطن.

بارتولد ١٩٨٧، "معرفة العرب بالروس"، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، مجلة دراسات، المجلد الرابع عشر، العدد العاشر، ص ص ٤٣-٩.

بيغوليفسكي، نينا فكتورفنا ١٩٨٥، العرب على حدود بيزنطة وإيران من القرن الرابع إلى القرن السادس الميلادي، ترجمة